

# التعليق على حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي

## الشيخ الدكتور سعيد سالم الدرمكي

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،  
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد

فقد روي مسلم في صحيحه عن سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ،  
عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر جندب بن جُنادة - رضي الله  
عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروي ، عن  
الله تبارك وتعالى ، أَنَّهُ قَالَ : (( يَا عِبَادِي ، إِنِّي  
حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ  
مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ  
إِلَّا مَنِ هَدَيْتُهُ فَأَسْتَهْدُوهُ . يَا عِبَادِي ،  
كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَأَسْتَطْعِمُونِي ،  
أَطْعِمُوا كَلَّكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ  
كَسَوْتُهُ فَأَسْتَكْسُوهُ . يَا عِبَادِي ، إِنِّي  
تُخَطِّئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
جَمِيعًا فَأَسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادِي ،  
إِنِّي كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ  
تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ  
أَوْسَلَ لَكُمْ وَأَخْرَجَكُمْ وَإِنْسَكَكُمْ وَجَنَّدَكُمْ كَانُوا عَلَى  
أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي  
شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْسَلَ لَكُمْ وَأَخْرَجَكُمْ  
وَإِنْسَكَكُمْ وَجَنَّدَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ  
وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ،  
لَوْ أَنَّ أَوْسَلَ لَكُمْ وَأَخْرَجَكُمْ وَإِنْسَكَكُمْ وَجَنَّدَكُمْ  
قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ  
إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِي إِلَّا كَمَا  
يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي ،  
إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ  
إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ  
وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ

## شرح الحديث:

هذا حديث عظيم القدر والمنزلة رواه أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر، وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه

قال الله تبارك وتعالى: " يَا عِبَادِيَ ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا " ، وقد دل القرآن الكريم كذلك على هذا المعنى قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ " وقال سبحانه: " وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ " وهذا من كمال عدله سبحانه

وفي الحديث النهي عن الظلم، وهو نوعان: ظلم النفس وهو ظلمها بالشرك والكفر وفعل الذنوب والمعاصي، وظلم العبد لغيره

أما الأول: فالكفر والشرك لا يغفره الله تعالى "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا " ، وقد سماه الله ظلما فقال: " وَإِذْ قَالَ لِقَوْمَانِ لَا بِنْتِ هِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنْدِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ، وذلك لأنه وضع العبادة في غير موضعها الصحيح

وأما الذنوب والمعاصي فإن لها آثارا سيئة في الدنيا وعقابا في الآخر إن لم يتب العبد منها أو يغفرها الله له

وأما النوع الثاني من الظلم فهو اعتداء العبد على حق غيره من عرض أو مال أو نفس، وقد جعل لها الشرع حرمة قال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ ، وَأَعْرَاضَكُمْ ، حَرَامٌ عَلَيَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بِلَادِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بِلَادُكُمْ "

والظلم عاقبته وخيمة يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم: "الظلم ظلمات يوم القيامة"

وفي البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قَالَ: (( مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ ، مِنْ عَرَضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ ، فَلَا يَتَحَلَّلْ لَهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارَ وَلَا دِرْهَمًا ؛

إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدِيرٍ  
مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ  
سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ

ثم قال الله تعالى : " يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنِ  
هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ " الهداية نوعان: هداية جملة  
للإسلام والإيمان ، وهداية مفصلة وهي معرفة تفاصيل أجزاء الإسلام  
والإيمان ، وهذا يحتاجه المسلم في جميع حياته

ثم قال : " يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنِ  
أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ . يَا عِبَادِي ،  
كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنِ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ "

فالعباد مفتقرون إلى الله في جميع شؤونهم من جلب المصالح ودفع  
المضار ، وأن من لم يتفضل الله عليه بالرزق فلن يرزقه أحد قال  
تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا  
يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ  
الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "  
وقال سبحانه : " أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ  
أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ "

ثم قال : " إِنْ زَكَّيْتُمْ تَطَهَّرُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنْزَا  
أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ "

وهذا طبع العبد وهو الوقوع في الذنب ، ولكن الله سبحانه غفار لمن  
طلب المغفرة ، قال صلى الله عليه وسلم: كُلُّ بَنِي آدَمَ  
خَطِيئَةٌ ، وَخَيْرُ الْخَطِيئَةِ التَّوْبَةُ وَابْتِغَاءُ

والاستغفار من الذنوب من صفات المؤمنين قال تعالى : " وَالَّذِينَ  
إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا  
اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ  
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى

مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ "

وقد دل الحديث على افتقار العباد إلى ربهم في حياتهم ، وأن الله  
يحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدنيوية والدينية

وكل ما مضى يبين نقص العبد وحاجته إلى ربه ، ثم انتقل الله :  
ليبين غناه عن الخلق فقال

إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّيَّ فَتَضُرُّوَنِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنْ أَوْ لَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْ نَسَّكُمْ ، وَجَنَّاكُمْ كَانُوا عَلَيَّ أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنْ أَوْ لَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْ نَسَّكُمْ ، وَجَنَّاكُمْ كَانُوا عَلَيَّ أَفَجَرَ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنْ أَوْ لَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْ نَسَّكُمْ ، وَجَنَّاكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .

فاله غني عن عباده لا تنفعه عبادة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، قال تعالى "وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"

وقال سبحانه : " وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ "

لكن من سعى في المجاهدة بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وفقه الله بمنه وكرمه ولطفه قال تعالى : " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ "

وهذا يورث في العبد الخوف والرجاء والمحبة لله تعالى

ثم بين سبحانه أن هذه الأعمال إنما تنفع صاحبها يوم القيامة فقال : " يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَوْ حُصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَّيْكُمْ أَجْرَهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ "

ومصداق ذلك من القرآن قول الله تبارك وتعالى : " يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا رِجَالًا يُجِزُّونَهَا بِرَأْفَةٍ بِالْعِبَادِ "

ولذلك نجد أن من أوشك على الموت أو الاموات أو أهل النار يتمنون

الرجوع إلى الدنيا للعمل قال تعالى : حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ  
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ  
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ  
قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ  
يُبْعَثُونَ

وقال عن أهل النار : وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّ انَّا  
أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ  
أَوَلَمْ نُنْعِمْ بِكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ  
وَجَاءَ كُمْ الذِّكْرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن  
نَّصِيرٍ

فعلى المسلم أن يتفكر في هذا الحديث القدسي وينظر في نفسه ونقصها  
وافتقارها إلى خالقها، ويوقن بغنى الله عنه وأن الله تعالى عدل لا  
يظلم عباده بل يتفضل عليهم بمضاعفة الحسنات وتكفير السيئات

وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه